

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ



النَّزُولُ: مَكْيَةٌ.

فضائل السورة:

هي أعظم سورة في القرآن؛ فعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: مرَّ بي النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، ثم أتيت فقال: ما منعك أن تأتي؟ فقلت: كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فذهب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ليخرج من المسجد فذَكَرَه، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبع المثانية والقرآن العظيم الذي أُوتِيَتْه. (صحيف البخاري / ٨، ٣٨١، برقم ٤٧٠٣ - التفسير - سورة الحج، باب فضل وَقَدْ أَلَيْتَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَنَافِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ (١٧)، ورقم ٥٠٠٦ - كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه سمع نقضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا مَلَكُ نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم و قال: أبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلُ: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُغْطِيَتْهُ. (صحيف مسلم - صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة برقم ٨٠٦).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا في مسيرة لنا، فنزلنا فجاءت جارية، فقالت: إِنَّ سِيدَ الْجِيَّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ، فهل منكم راقي؟ فقام معها رجل ما كنا نأبُنه برقية، فرقاه فبراً، فأمر له بثلاثين شاة وسقاناً لبناً، فلما رجع قلنا له: أَكْنَتْ تحسن رقية، أو كنت ترقى؟ قال: لا ما رقى إلا

بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي - أو نسأل - النبي ﷺ. فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: **وَمَا كَانَ يَدْرِيهِ أَنَّهَا رُفْيَةٌ؟** اقسموا **وَاضْرِبُوهَا لِي بِسْهُمْ**. (صحيح البخاري - فضائل القرآن - باب فضل الفاتحة برقم ٥٠٠٧).

والسليم: اللديغ. **غُيّب**: جمع غائب. نأبه: أي: ما كنّا نعلم أنه يرقى. (كما في النهاية في غريب الحديث).

المقصود:

- ١ - تقرير العبودية والربوبية لله تعالى.
- ٢ - الإيمان بأسماء الله الحسنى.
- ٣ - الوعد بسعة رحمة الله تعالى، والوعيد من الحساب يوم القيمة.
- ٤ - الاعتقاد بالبعث للخلائق.
- ٥ - تحقيق معنى «لا إله إلا الله» في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَعْبُدُ﴾.
- ٦ - طلب العون من الله تعالى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ أَهْدِنَا
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
 الصَّالِيْنَ ۝

التفسير:

- ١ - البسمة:** أبدأ بذكر اسم الله المعبد بحق ، المتصل بسعة رحمته للخلق جميعاً في الدنيا ، وللمؤمنين في الدنيا والآخرة .
- ٢ -** كل المحامد بالثناء والشكر والتحميد لله تعالى المعبد بحق ، إذ هو خالق الخلق أجمعين ، وكل هذه المخلوقات بأنواعها وأصنافها تلهج بحمده في كل زمان ومكان ، في الدنيا والآخرة ، وفي السموات والأرض وما بينهما . وبذلك ينبغي للمؤمن أن يستشعر أنَّ الكون كله بأشيائه وزمانه ومكانه يلهج بالحمد لله حتى ينسجم مع هذا الكون الذَّاكر ، وكي يهتف معه بهذا الذِّكر العظيم الذي يحبه الله تعالى ، إذ استهلَّ به القرآن العظيم ، وبدأ به أعظم سورة في القرآن الكريم ، فكان براعةً للاستهلال ، وروعة في الخصوع والاستدلال ، فهو حقيق بتلك المحامد كلها جميعاً ؛ لأنَّه الخالق الذي سُخِّر جميع هذا الكون للإنسان ، وكل خلائق الكون تنعم ببركات الرحمات ليل نهار بالأرزاق والمصالح .
- ٣ -** ومن صفاتِه العُلَى ﷺ : الرحمة ، فالرحمن الذي يرحم جميع الخلائق ، والرحيم الذي يرحم المؤمنين . والرحمة صفة عظيمة من صفات الله

تعالى العلی ؟ إذ تدور في فلكها جميع الصفات ، والصفات كلها رحمات متنوعات ، ورحمته وسعت كل الأشياء جمیعاً ، والله تعالیٰ مئة رحمة ، أنزل الله رحمة واحدة تراحم فيها الخلائق في الدنيا ، وأخّر تسعاً وتسعين رحمة ليوم القيامة للتخفيف عن العباد حسب مشیئته سبحانه . وهذا التأخیر لنزول بقية الرحمات من رحمته الواسعة .

٤ - ومن رحمته أيضاً أنه جعل يوم الجزاء على الأعمال؛ لينتصر للمظلوم ، ويجاري العباد بالثواب أو العقاب ، فهو يتصرف في هذا اليوم ، فيغفر لِمَنْ يشاء ، ويعذب مَنْ يشاء بعده وكرمه . وفي ذلك ترغيب في رحمته ، وترهيب من يوم الجزاء .

٥ - وهذا الكمال في الحساب ، والجلال في التدبير والأسباب ، والجمال في التكريم للأحباب ، يستحق إفراده وحده بالعبودية كلها له ، فنستمدُ منه العون فلا يعتمد إلا عليه ، ولا يُستند إلا إليه ، إذ هو مُدبِّر أمور الخلائق . ومن ذلك التدبير والتکريم أنه عَلِمَنا كيف تَحْصُّنَ العِبَادَة؟ فلنطير أوامره سبحانه ، وننجر عن نواهيه ، ونطلب منه العون ، وعَلِمَنا كيف يكون إخلاص العبادة له سبحانه ، كما في قوله تعالیٰ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

٦ - وبما أَنَّ الدعاء وطلب الرجاء من أعظم سبل تحقيق العبودية ، فقد جاء التوجيه أن نتوسل إليه سبحانه وحده ، ونتضرع إليه وحده بطلب التوفيق والإرشاد إلى الطريق الصحيح والدين السميـح ، ألا وهو دين الإسلام للعمل بأحكامه وحِكْمَه . هذا الدين العظيم الذي دان به النبيون والصدّيقون والشهداء ، واطمأنَّ به قلوبهم ، وقرَّت به أعينهم ، وارتقت به نفوسهم ؛ لأنَّهم تذوَّقوا حلاوته ، وعرفوا قيمة قيمه ، وعلَّوْ علمـه ، وسمَّـوا سـنـامـه ، وأدركوا خصائصـه ومـيزـاته عن الأديـانـ الأخرىـ التيـ وقعـ فيهاـ التـحرـيفـ والـتزـيفـ ، كما حـصلـ فيـ اليـهـودـ الـذـينـ غـضـبـ اللهـ عـلـيـهـمـ ؛ بـسـبـبـ شـرـكـهـمـ بـالـلهـ ، وـتـحـريـفـهـمـ الـتـورـاةـ ، وـكـمـاـ حـصـلـ لـلنـصـارـىـ الـذـينـ ضـلـلـوـاـ الطـرـيقـ الصـحـيـحـ ؛ بـسـبـبـ شـرـكـهـمـ وـتـحـريـفـهـمـ الإـنـجـيلـ ؛ وـلـهـذـاـ قـالـ تعالـیـ : ﴿غـيـرـ المـعـضـوبـ عـلـيـهـمـ وـلـأـلـصـالـلـيـنـ﴾ وـفـيـهـ تـأـكـيدـ الدـعـاءـ السـابـقـ ، وـطـلـبـ الـبرـاءـةـ مـنـ الشـرـكـ وـالـضـلـالـ

والإضلal، وذلك بعد طلب التوفيق إلى تحقيق العبودية بالولاء لله، وأنبيائه كلهم أجمعين.

الفوائد والاستنباطات:

١ - بدأ الله تعالى القرآن العظيم بالبسملة، وفيه توجيه وإرشاد لبدء كل أمر بالبسملة.

٢ - انتظمت السورة ثلاثة مقاصد تعليمية هي كليات الدين وغاياته؛ ففيها التربية على معرفة المعبد وتوحيده بأسمائه وصفاته وأفعاله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وال التربية على معرفة الطريق المستقيم الموصى إلى عبادته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿أَهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وال التربية على معرفة الشمرة والجزاء المترتب على سلوك الطريق أو مجانبته ﴿صَرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَصْحَالَيْنَ﴾. وسور القرآن وآياته كلها ترجع إلى هذه الكليات الثلاث.

٣ - البداءة في التربية والتعليم بالكليات من أفضل الطرق التربوية التي تعين في تثبيت المعلومة وضبطها ومعرفة مآلها؛ لأنّها تقوم على ربط الفروع بأصولها، والمسائل بأدلتها، والوسائل بغاياتها. ومعرفة ذلك من الفاتحة يفيد في تدبر القرآن وتبيان مقاصده.

٤ - يرشد مطلع السورة إلى الثناء على الله تعالى، والحمد له سبحانه.

٥ - إثبات صفة الرحمة لله تعالى.

٦ - ومن أسباب تحقيق الهدایة: الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَعِنُونَ بِالْفَوْلِ فَيَتَّعِنُونَ أَحَسَنُهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَنَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

٧ - أهمية الدعاء في العبادة والتضرع إلى الله تعالى وحده.

٨ - دين الإسلام منهج الحياة.

٩ - التحذير من الشرك والتحريف.

١٠ - النصيحة لليهود والنصارى بأن يصححوا منهجمهم.

١١ - سِرُّ تسميتها بالسبع المثاني أنَّ آياتها نُرَدِّدها في كل الصلوات، وتكرارها للتذكير بمعانيها واستحضارها، ولتجديد العهد مع الله تعالى.

١٢ - تجิُب السورة الكريمة عن الأسئلة الثلاثة: من أين، وإلى أين، وما طريق النجاة؟ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالذي خلقه، ودبَّر مصالحه ومعشه في هذا الكون هو الله رب العالمين، وطريق النجاة هو إخلاص العبادة، والاستعانة بالله، وطلب الهدایة منه.

١٣ - حتى يلهم اللسان بالحمد، وينبض به القلب، لا بدَّ من تذكُّر نَعَم الله تعالى التي سَخَّرَها للإنسان لاستحضارها، واستشعار عظمة الخالق جلَّ وعلا، ورحمته التي وَسَعَتْ كل شيء ومعونته وهدايته لعباده.

١٤ - تشير الكلمة ﴿نَسْتَعِينُ﴾ إلى ضرورة العمل والأخذ بالأسباب؛ لأنَّ الاستعانة هي طلب العون من الله تعالى على أداء عمل أو إتمامه.

١٥ - حُسْنُ التَّأْدِيب مع الله تعالى في الدعاء، من ذلك تمجيُدُه تعالى وتعظيمُه وحمْدُه بين يدي الدعاء.

١٦ - الهدایة والتوفيق من الله تعالى، وكما نستعين بالله تعالى في سائر أمورنا وجميع أحوالنا، كذلك نستهديه تعالى، ونسأله أن يثبّتنا على طريق الهدایة، ويزيدنا هدى على هدى، ويُجنبنا طرق الضلال.

١٧ - الصراط المستقيم هو الإسلام بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّى هَدَيْتِنِي رَبِّي إِلَى صَرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قَيَّمًا مِّلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾١٦١ - ١٦٢﴾ [التوبه: ١٦١ - ١٦٢]، فقد ذكر الله عَزَّلَهُ أنَّ الصراط المستقيم هو دين إبراهيم، كما في الآية الأولى، ثمَّ بيَّنَ أنَّ هذا الدين هو الإسلام، كما في الآية الثانية، وقد ثبت هذا التفسير عن النواس بن سمعان الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكر حديثاً طويلاً والشاهد فيه: «والصراط: الإسلام».

١٨ - أشكل على بعض المفسرين المعاصرین تفسير ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أنَّهم اليهود، وتفسير ﴿الْأَضَالِّينَ﴾ أنَّهم النصارى، حتى إنَّ بعضهم ترك هذا التفسير، علمًاً أنَّ هذا التفسير مُجمَعٌ عليه عند المفسرين من القرن الأول

الهجري إلى القرن الرابع عشر، ويتردد الإشكال على ألسنة بعض المسلمين وغير المسلمين من أنه كيف يُوصف اليهود والنصارى بذلك؟!

الجواب: هذا أسلوب تربوي وخطاب رباني لعباده الذين أخطئوا المنهج الصحيح، فإنَّ الله تعالى خالقهم وسيدهم، فهو سبحانه يخاطب عباده بما يشاء وكيف يشاء، فتارة يخاطبهم بأجمل نداء: يا بني إسرائيل، يا أهل الكتاب، وتارة يخاطبهم باليهود والنصارى، وتارة يخاطبهم بقوم موسى. وهذا التنوع في الأسلوب ليس فقط لليهود والنصارى، وإنما للبشرية جمِيعاً، فتارة يخاطبها بالإنسان، وتارة بالكفار والكافر، وهي من صيغ المبالغة في الكفر والجحود لِنَعْمَ الله تعالى، وهذا أشد مما سبق. وكل هذا من رحمته بعباده؛ فهو يُوبِّخُهم حتى ينقذهم من العذاب والنَّكال، وهو مالك الملك، ورب العالمين، فله أن يستخدم ما يشاء، وكل ذلك في صالح البشرية، وهو غيور على عباده، رحيم بهم، غفور لِمَنْ تاب وأناب، وعفو عن العقاب، وكرم في الثواب، فكل أسلوب من هذه الأساليب يستخدم حسب المقام وحسب السياق، وكل ذلك إثارة وتنبيه لهم حتى يسلكوا المنهج الصحيح.

١٩ - وردت الكلمات الثلاث في سورة الفاتحة على ترتيب بديع يدل على منهج القرآن في تربية النفوس، ومراعاة استعداداتها، وتهيئتها للتربية والتعليم، إذ بدأها بالغاية من تَعْلِم القرآن وتدبره، وأتبعها بيان وسائل تحقيق تلك الغاية، ثمَّ ختمها ببيان النتائج.

